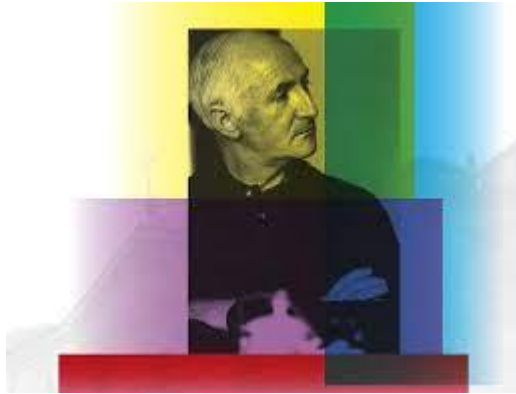


التجارب اللغوية والتصورات لدى السكان من ذوي الأصول المتنوعة المقيمين في الجوبيار تجاه اللغة الباسكية

إكين إيزاغيري زوبيباوري

سايبوا إراولا أوركيولا



الدعوة الرابعة للمنحة البحثية

Gotzon Garate

لسنة 2022.

النشر: Elgoibarko Udala
النصوص: إكين إيزاغيري و سايبوا إراولا
الترجمة: Elgoibarko Udaleko Euskara Saila
التصميم والصور: Limoiura
الطباعة: GERTU

**التجارب اللغوية والتصورات لدى السكان من ذوي الأصول المتنوعة المقيمين في
الجويبار تجاه اللغة الباسكية**

إكين إيزاغيري زوبيياوري و سايوا إراولا أوركيولا

4	المقدمة
4	المنهجية
6	تحليل النتائج
6	تقديم موجز للأشخاص الذين تمت مقابلتهم
9	ظروف المعيشة وسياق الهجرة
10	الظلم المتداخل
12	تصوير اللغات
14	استخدام اللغات
16	التجارب اللغوية
18	القيم المخصصة للغات
19	الأيديولوجيات اللغوية
21	المقترحات والتحديات
22	الاستنتاجات وآفاق المستقبل
23	المراجع

المقدمة

لقد أجرينا هذا العمل البحثي من خلال منحة Gotzon Garate المنشورة لسنة 2022. وفي هذا العمل الذي تم إعداده على مدى ثمانية أشهر، قمنا بدراسة التجارب اللغوية والآراء والتصورات لدى السكان من ذوي الأصول المتنوعة الذين يعيشون في الجوبيار تجاه اللغة الباسكية. ومن خلال هذا التقريب، نريد إظهار صورة أكثر اكتمالاً لبلدة الجوبيار، وإعطاء صوت للأشخاص من ذوي الأصول المختلفة الذين جاؤوا للعيش في البلدية والتعرّف على واقعهم واحتياجاتهم وتجاربهم عن قُرب. ونظراً لأنها دراسة نوعية، فقد أجرينا مقابلات شاملة مع اثني عشر شخصاً من مختلف الأعمار والأجناس والأصول.

وكان المفتاح للفهم الأفضل أو المعرفة الأفضل بتجاربيهم اللغوية هو معرفة الظروف المعيشية والسياقات وحالات الظلم أو الامتياز¹ واستخدامات اللغات، لأن هذه المتغيرات تكون مترابطة بشكل وثيق عند التفاعل مع بعضها البعض. لهذا السبب، نريد أن نتعرّف على عمليات هجرة الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، وما وجدوه عند وصولهم إلى الجوبيار وما هي أشكال الدعم والشبكات العلائقية ونمط الحياة التي بنوها في البلدة.

هذه الوثيقة هي خلاصة كامل العمل البحثي الذي تم إجراؤه. نستعرض فيه بإيجاز المنهجية المطبقة لإجراء البحث، ونعكس الأفكار الأبرز التي تم جمعها في التحليل. وأخيراً، من الجدير بالذكر أن المساهمات النظرية التي قدمتها الأنثروبولوجيا النسوية ونظرية المعرفة الديكولوجية على مدى العقود الماضية كانت المحاور التي أخذناها بعين الاعتبار عند كتابة هذا العمل.

وكما ذكرنا، كانت نواة هذا البحث هو الاستماع النشط وتحديد التجارب والتصورات وتصنيفها. ومن خلال فهمها والتعرّف عليها، سيتم إنشاء فرص جديدة لتعزيز السياسات اللغوية التي يتم الترويج لها في محيطنا والمشاريع والموارد الحالية لتعزيز اللغة الباسكية. وفي الختام، نود أن نضيف بأن هذه المقابلات الإثني عشر، في مجملها، لا يمكن أن تحل محل التجارب اللغوية وتصورات الأشخاص من ذوي الأصول المختلفة الذين يعيشون في الجوبيار. وفي نفس الوقت، فإن كل قصة لها قيمتها، ونريد تقديمها كمساهمة في الدراسات الكمية والنوعية التي أجريت حول هذا الموضوع.

المنهجية

تم تطوير هذا العمل بين مايو 2022 ويناير 2023. وكانت المنهجية التي استخدمناها نوعية واستندت إلى مقابلات شاملة. إجمالاً، أجرينا مقابلات مع 12 شخصاً من أصول مختلفة يعيشون في الجوبيار؛ بعضهم كان يتناول القهوة، والبعض الآخر كان يتجول في البلدة. وقد منحتنا دراسة الإثنوغرافيا أثناء سيرنا إمكانية معرفة الطريقة التي يدرك بها هؤلاء الأشخاص بيئتهم وكيف يؤديون مهامهم اليومية.

فعد اختيار الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، أخذنا بعين الاعتبار ثلاثة جوانب: الأصل والعمر والجنس. بالإضافة إلى ذلك، قمنا بجمع ملاحظات حول اللغات التي كانوا يتحدثون بها في مواطنهم الأصلية وتلك التي كانوا يتحدثون بها منذ

¹ هذه الأوضاع أو الحالات ليست ثابتة أو دائمة. فقد تختلف حسب السياق.

إقامتهم في الجوبيار. وأخيراً، نود أن نذكر أن جميع أبطال الشخصيات يظهرون بأسماء مستعارة في هذه الدراسة. وقد أعدنا الجدول التالي ببيانات كل شخص تمت مقابله:

بيانات السيرة		سيرة اللغات			
الأشخاص الذين تمت مقابلتهم	الجنس	العمر	الأصل	اللغة الأصلية	في الجوبيار في بلاد الباسك
كيان	ذكر	44	أيرلندا	الإنجليزية	الإسبانية / الباسكية (بعض الكلمات القليلة) / الغيلية (بعض الكلمات القليلة)
ماركو	ذكر	46	إيطاليا	الإيطالية	الإسبانية / الإنجليزية / الباسكية
باتسي	ذكر	28	ألبانيا	الألبانية	الإسبانية / الإنجليزية
آنة	أنثى	44	رومانيا	الرومانية	الإسبانية / الإنجليزية / الإيطالية
آنا	أنثى	38	المغرب	العربية / البربرية	الإسبانية / الباسكية (بعض الكلمات القليلة)
فاطيمة	أنثى	22	المغرب	العربية / البربرية	الإسبانية / الباسكية (بعض الكلمات القليلة)
سيكو	ذكر	25	مالي	بامبارا / سننكي / وولوف (أدنى مستوى)	الإسبانية (أدنى مستوى) / الفرنسية
أنجي	أنثى	32	نيكاراغوا	الإسبانية	الإسبانية
أروا	أنثى	46	جمهورية الدومينيكان	الإسبانية	الإسبانية
ليكونا	ذكر	58	الأرجنتين	الإسبانية	الإسبانية / الباسكية (بعض الكلمات القليلة)
لينغ	أنثى	40	الصين	الصينية الماندارين / الكانتونية	الإسبانية
شاهيد	ذكر	34	باكستان	الأردية / البنجابية	الإسبانية / الباسكية (بعض الكلمات القليلة)

المصدر: تم إجراؤه للدراسة

تحليل النتائج

تقديم موجز للأشخاص الذين تمت مقابلتهم

كيان (أيرلندا)

يبلغ كيان أربعة وأربعين عاماً من العمر، ويعيش في الجوبيار منذ سنوات طويلة. يعمل في قطاع الفنادق. منذ 22 عاماً تعرّف على فتاة كانت في منحة إيراسموس في أيرلندا. وجاء إلى الجوبيار ليقضي أسبوعاً لزيارة تلك الفتاة، لكنه مدد إقامته وقرر البقاء والعيش في الجوبيار. إنه يحب السفر ومعرفة الأشياء في المدينة وممارسة التعارف الشبكي.

ماركو (إيطاليا)

ماركو إيطالي ويبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً ويعيش في إقليم الباسك منذ تسع سنوات. وصل إلى الجوبيار في عام 2013 مع عائلته، لأن زوجته من البلدة، واليوم يعيشون في بيت ريفي كبير. يعمل هناك ويقدم سكن إقامة للسياح. لديه ابنة وابن. إنه مغرم بالطبيعة والجبال، وعندما يكون لديه وقت فراغ يذهب إلى الجبل. كما يحب قراءة الروايات. في الجوبيار، يشارك في جمعية "Baso biziak".

باتسي (ألبانيا)

باتسي من ألبانيا، ويبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، ويعيش في الجوبيار. لقد أخبرنا أن لديه العديد من الهوايات: على سبيل المثال، الموسيقى والخروج للسهرة والالتقاء بأصدقائه والسفر والتعرّف على مختلف الثقافات والناس. حالياً هو عاطل عن العمل، لكنه سيبدأ العمل قريباً. إنه طباخ، وقد عمل في هذه المهنة لمدة خمس سنوات ونصف في غاليتيا، ولمدة نصف عام في زومابا. الآن سوف يغير مهنته، وسيبدأ العمل بالمخارط والآلات الطحن.

آنة (رومانيا)

آنة رومانية وتبلغ من العمر أربعة وأربعين عاماً. وصلت إلى غيبوثوكوا في أواخر أكتوبر 2008، بعد زوجها، من أجل تصفية ديون مختلفة كانت لديهم في رومانيا. استقروا أولاً في بياساين، ومكثوا في تلك البلدة حتى يوليو 2009. تعيش حالياً في الجوبيار مع زوجها وطفلها/طفلتها. لديها دراسة في الحلاقة، لكنها تعمل في الوقت الحاضر في شركة تنظيف. تشارك في ليلا Lila، دار النساء.

آنا (المغرب)

آنا مغربية، وتبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً وخرجت من مسقط رأسها منذ عشرين عاماً. عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها، ذهبت للعيش في الأندلس مع والدتها ووالدها وأخواتها وإخوانها. وفي سن السادسة والعشرين، في ملقة، كانت تعمل بدون عقد كعاملة منزلية مقيمة. تعيش في الجوبيار منذ تسعة عشر عاماً. وهي أم لثلاث بنات وأولاد، وبصرف النظر عن زوجها وبناتها وأبنائها، ليس لها أقارب في البلدة، لكنها اكتسبت العديد من الأصدقاء في الدورات التي أخذتها. كما تشارك في جمعية Loreak.

فاطيمة (المغرب)

فاطيمة مغربية وتبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، ولديها ابن عمره سنتان. في المغرب درست بكالوريا الفيزياء. وأخبرتتنا أيضاً أنها تحب الفيزياء والكيمياء والرياضيات كثيراً. زوجها يعيش منذ صغره في الجويبار. تزوجا في المغرب، وجاءت مع زوجها إلى إقليم الباسك، وبالتحديد، إلى الجويبار. تحب الطبخ وكذلك تعلم اللغات. تعتنى بابنها بشكل يومي وتشارك في جمعية *Zabaltzen*.²

سيكو (مالي)

هو من مالي ويبلغ من العمر خمسة وعشرون عاماً. في سن الثانية عشرة وصل إلى إسبانيا على متن قارب. سافر لمدة سبعة أيام في القارب، وأخبرنا أن الرحلة كانت شاقة للغاية. مر عليه ثلاثة عشر عاماً منذ أن غادر بلده، ولم يتمكن من العودة إلى مالي للزيارة. لقد جاء لتحسين حياته، لكنه اعترف لنا بأن الحياة هنا ليست سهلة على الإطلاق. ولدى سؤاله عن هواياته، أجاب بأنه يحب كرة القدم، وأنه يحلم في المستقبل بالعيش بشكل جيد.

أنجي (نيكاراغوا)

أنجي هي من نيكاراغوا، وتبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً. وصلت إلى الجويبار منذ تسع سنوات بدافع الضرورة الاقتصادية. لقد أخبرتنا أنهم في نيكاراغوا كانوا فقراء للغاية. ولديها طفلان، بأعمار تسع سنوات وثلاث سنوات. بعد وصولها بوقت قصير، ولأنها كانت حاملاً، لم تحصل على أية وظيفة عمل، لكنها حصلت على بعض المساعدة، وبها تمكنت من العيش. تعيش حالياً في شقة مع ابنة أختها التي وصلت مؤخراً من نيكاراغوا وطفليها. تود العودة إلى نيكاراغوا لزيارة عائلتها.

أروا (جمهورية الدومينيكان)

أروا هي من أصل سانتو دومينغو، وتبلغ من العمر ستة وأربعين عاماً، ولديها طفلة يبلغ من العمر خمس سنوات. أولاً، وصلت إلى مدريد في الثامنة والعشرين من عمرها، لأنه عُرض عليها عقد كعاملة منزلية. بعد أربع سنوات، وصلت إلى الجويبار بتشجيع من إحدى الصديقات. وفي اليوم التالي لوصولها، أجرت مقابلة عمل، وعلى الفور بدأت العمل في حانة. بسبب الطفل والعمل، ليس لديها وقت فراغ، لكنها تهوى الرياضة، وتحب لعب البيسبول والكرة الطائرة.

ليكونا (الأرجنتين)

ليكونا يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاماً. كان جده من أنتزولا وعائلته من إبيار وبيرجارا والمناطق المحيطة بها. في يونيو 2023، وصل إلى الجويبار لقضاء ثلاثة أشهر. وصل يوم الجمعة، ويوم الاثنين كان يعمل بالفعل في حانة في زاراوتز. منذ عام 2008، يعمل في متجر غلايات الألمنيوم، ويعيش في الجويبار. في عام 2005، تعرّف على امرأة من البلدة ولديهما ابنة تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً. يحب البيئة الريفية والطبيعة، ويهتم ببستان.

² مؤسسة Zabaltzen-Sartu هي جمعية غير ربحية، هدفها توفير تسهيلات للعمل والاندماج الاجتماعي للأشخاص الذين هم في وضع غير مؤات اجتماعياً، إذا طلب الأشخاص ذلك. لهذا، من الضروري العمل مع الأشخاص، وكذلك مع محيطهم، من أجل بناء مجتمع ومنطقة أكثر شمولاً. وللجمعية مكاتب في الجويبار وبيريز ودورانغو وأموربييتا-إتشانو.

لينغ (الصين)

جاءت من الصين مع عائلتها، حوالي عام 2000، بحثاً عن حياة أفضل. عاشت في مدريد وكاتالونيا وبيلباو. منذ عام 2007، تعيش في الجويبار، وتدير تجارة في المدينة. أخبرتنا أنها تزوجت وهي شابة في سن التاسعة عشرة، وأنجبت ثلاثة أبناء وبنات منذ ذلك الحين. تعمل في المحل التابع لها وتحب التحدث مع الناس. عند سؤالها عن هواياتها، أخبرتنا أنها بعد وصولها بوقت قصير، لم يكن لديها وقت للتفكير في الأمر.

شاهيد (باكستان)

إنه من باكستان ويبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً. في الثامنة عشرة من عمره، بدأ العمل في باكستان، لكن لم يكن لديه الكثير من الفرص، وكانوا يعاملونه معاملة سيئة للغاية في العمل. بدأ رحلته بحثاً عن حياة أفضل. فذهب إلى روسيا للدراسة، ولكن بسبب غش انتهى به المطاف في الشارع. ومن هناك، قام برحلته بمفرده، وليس لديه أي أقارب. عندما كان صغيراً، كان يحب اللعب والخروج مع الأصدقاء والسهرة. يحب كرة القدم والكريكيت.

ظروف المعيشة وسياق الهجرة

هناك العديد من الأسباب التي دفعتهم إلى اتخاذ قرار الهجرة إلى الجوبيار. أخبرنا معظمهم أنهم مدفوعون بالعلاقات الأسرية أو الضرورة، وأنهم جاؤوا بحثاً عن حياة أفضل. كما رأينا، بالنسبة لبعض الأشخاص، كان الطريق للوصول إلى الجوبيار طويلاً، حيث اضطروا لعبور العديد من البلدان والعواصم. وجاء الكثير من الأشخاص إلى هنا بالرغبة في حياة أفضل، مدفوعين بالضرورة، ولكن، على سبيل المثال، بالنسبة لـ أروا وسيكو وشاهيد كان الحلم الأوروبي لهم بعيد المنال.

سيكو: أنا في بلدي، وكثير من الناس يقولون أوروبا جيدة جداً. ثم تأتي هنا وليس لديك عمل. البلدية، Lanbide ليس لديها عمل. ليس لدي أصدقاء ولا أي شيء. ليس لدي زوجة، ولا زوج، ولا أي شيء، أنا أعزب. الحياة ليست سهلة بالنسبة لي.

معظم الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، باتسي وكيان وليكونا وماركو وآنة وشاهيد وأروا يذهبون إلى بلدانهم الأصلية مرة واحدة على الأقل في السنة. ومع ذلك، لم تتمكن أنجي وسيكو من العودة إلى بلدهما الأصلي، لأنها ليس لديها أوراق، والآخر لا يملك المال.

أنجي: أود العودة إلى نيكاراغوا. هنا توجد حياة أفضل والمزيد من المساعدات. لقد حملت مرتين وهذا أدى إلى صعوبة حصولي على الأوراق والعمل. في إحدى المقابلات رأوني أحمل طفلاً، فقالوا لي لا، لأن لدي طفلان. أشعر بأنني عاقلة ومربوطة. لأنه بدون أوراق لا يمكنني الذهاب إلى بلدي. حتى لو كان شهراً واحداً. بلا خروج.

كانت عمليات الهجرة للعديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم قاسية وفجة، وقد تعرضوا للعنصرية. بالنسبة لـ آنة وأنا وأروا وباتسي وليكونا وكيان وفاطيمة وماركو ساعدهم في ذلك أنه كان لديهم عائلة أو شخص صديق ما في الجوبيار أو في المناطق المحيطة. ومن بين أولئك الذين لديهم عائلة في الجوبيار، لاحظنا مجموعتين: الأولى، أولئك الذين لديهم عائلة يعيشون وولدوا في بلاد الباسك، ولم يتعرضوا للعنصرية؛ والأخرى، أولئك الذين لديهم أقارب أتوا بحثاً عن عمل أو حياة جديدة. الكثير والعديد منهم تعرضوا للعنصرية، لكن ليس في مجملهم. ساعدت هذه الشبكات العائلية، في جميع الأحوال، في العثور على عمل أو سكن. وكذلك بسبب الوصمة التي يسببها أصلهم ولون بشرتهم والعنصرية، فقد واجهوا في كثير من الحالات صعوبات كبيرة في العثور على عمل أو سكن، وأخبرتنا أنا بأن عدم معرفة اللغة الباسكية يمثل أيضاً عقبة أمام العثور على عمل.

من ناحية أخرى، وصل سيكو وشاهيد إلى الجوبيار دون أن يكون لهما شبكة عائلية أو أصدقاء. ويمكننا أن نرى بوضوح في القصة سياق الضعف ونقص الحماية والعنف الذي ينطوي عليه سفر الشخص بمفرده.

شاهيد: بالنسبة لبعض الناس الذين لديهم أحد الأقارب هنا لما يصلوا، فإنه يمكن أن يعتني بهم قريبهم، سواء عملوا أو لم يعملوا. لن يواجهوا أية مشكلة. لكن الشخص الذي ليس لديه أي أقارب هنا يصل لفترة من الوقت ويشعر بأنه غريب، لا يعرف اللغة، ولا يعرف كيفية التواصل مع الناس، لأنه لا يستطيع البحث عن مكان يمكنه فيه العمل أو الحصول على لقمة العيش، الأمر قاس.

وفيما يتعلق بالعمر، فإن غالبية الأشخاص من ذوي الأصول المتنوعة الذين يعيشون في الجوبيار هم في سن يمكنهم فيه الحصول على عمل (أورانغا 2022، 10). ويؤكد معظمهم باستمرار على ضيق الوقت، والنساء هن اللواتي يذكرن هذا الظرف بشكل رئيسي. كما لاحظنا في عرض المقابلات، لينغ وأروا وأنجي وأنا... ذكروا استحالة تلبية الاحتياجات الأساسية للحياة، على سبيل المثال: العمل أو الصعوبات للعثور على سكن للكراء.

في حالة الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، قيل وصولهم إلى الجوبيار، كان العديد منهم يعرفون اللغة الإسبانية، والبعض الآخر يعرفون لغتهم الأصلية، وكثيرون آخرون لأنهم كانوا سابقاً في مدن أخرى في إسبانيا، أو مكثوا لشهور أو سنوات في غاليتيا أو في كتالونيا: على سبيل المثال، شاهايد وباتسي وأنا وأروا ولينغ. حتى فاطيما درست اللغة الإسبانية لمدة شهرين قبل أن تصل إلى الجوبيار. لقد أوضحوا لنا أنه من الصعب المضي قدماً دون معرفة اللغة، وأن هذا يولد حالات من التبعية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوضع أصعب بالنسبة لأولئك الذين ليس لديهم دعم أو عائلة أو أصدقاء في محيطهم.

شاهيد: عندما تكون في بلد ما، مكان لا تعرف فيه اللغة، وليس لديك مكان تذهب إليه، حيث تحتاج أن تأكل، ففي النهاية، هذا يخنقك قليلاً، أليس كذلك؟ الخوف لا أعلم... تقول لنفسك في النهاية أنا في ضيق أو تفكر، تبتأ، ما الذي سيحدث فيما بعد؟

كما أخبرونا، يحافظ جميع الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ببعض العلاقة مع بلدهم الأصلي، ويحافظون أيضاً على عاداتهم. يستخدمون الواتساب والفيسبوك ومكالمات الفيديو والمكالمات الهاتفية وشبكات التواصل الاجتماعي المتاحة لهم. من العادات التي حافظوا عليها بشكل كبير هي فن الأكل والأعياد والدين واللغة. بالإضافة إلى ذلك، يجد معظمهم أنه من المهم جداً الحفاظ على لغتهم الأصلية، ويتحدثون بلغتهم مع أشخاص من نفس الجالية، وفي المنزل مع الأسرة. معظم الأشخاص الذين قابلناهم لديهم أصدقاء ينتمون إلى جالية بلدهم. لقد أخبرونا أن محيط العمل يساعدهم على إقامة علاقات مع العديد من الأشخاص، وكذلك حقيقة المشاركة في الجمعيات المحلية أو في الدورات المختلفة.

الظلم المتداخل

لا يمكننا التعامل مع التجارب والتصورات المرتبطة باللغة كما لو كانت قضية منعزلة. لهذا السبب، نود أن نستعرض كيف تؤثر الطبقة والأصل والجنس، من بين أمور أخرى، على المهاجرين، وخصوصاً أولئك الذين يعانون من العنصرية.

عملت معظم النساء اللواتي قابلناهن، في مرحلة ما من حياتهن، في أعمال محفوفة بالمخاطر. بالإضافة إلى ذلك، فقد سلطن الضوء على المشاكل التي تواجههن في الحصول على عمل، بسبب العنصرية، وفي كثير من الحالات، بسبب مسؤولية رعاية القاصرين التي على عاتقهن. ولا شك بأن المتغير الجنساني له تأثير كبير على الظروف المعيشية. في إقليم الباسك الذاتي وفي الجوبيار، تُظهر البيانات وجود تمييز للمرأة المهاجرة (أورانغا، 2022). وتُظهر شهادات العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ما يسمى بـ *Doppia presenza* (ساغاستيزابال 2020، 17)، أي "الوجود المزدوج للمرأة العاملة: عبء العمل وقلة الوقت ما يولد لهن الاضطرار إلى العمل كثيراً في داخل وخارج المنزل".

أروا: تخيل، عندما تعمل في حانة، وردية عمل متناوبة، ولديك طفلة. أنا أعيش دائماً أجري. أنهض، أجري، أخذ الطفلة إلى المدرسة، وأعود أجري لتحضير الطعام لتدخل الساعة الثانية عشر ظهراً، وأعود أجري في الساعة الرابعة عصراً لأجلب الطفلة، أعود، أقضي وقتاً قصيراً معها أو اصطحبها إلى بعض الأنشطة إلى الساعة السابعة أعود إلى الحانة. هذا هو نشاطي اليومي. كل يوم.

يمكننا أن نضيف أن ضيق الوقت هذا هو أحد أكبر الصعوبات والعقبات أمام تعلم لغة جديدة. ويؤكد معظمهم أن السبب الرئيسي لترك بلدانهم الأصلية هو من أجل تحقيق ظروف معيشية أفضل. لذلك، من الواضح أن أولوياتهم هي البقاء على قيد الحياة والعمل.

ومما لا شك فيه أننا لاحظنا أن أصل ولون البشرة يولدان تجارب وتمييز مرتبطين بالعنصرية. فالأمر ليس نفسه للأشخاص من أصل أوروبي أو أفريقي أو أمريكي. وليس نفسه للشخص الأبيض أو الأسود. وكلما زاد سواد البشرة، زادت الصعوبة والعنف والتمييز الذي يعانون منه. وليس الأمر نفسه للشخص، لكونه أوروبياً، وُلد في إيطاليا أو رومانيا. أخيراً، فالطبقة الاجتماعية أو القدرة الاقتصادية لهما تأثير مباشر.

أنا وفاطيمة مغربيّتان ومسلمتان. حكيا لنا عن المواقف العنصرية التي عانينا منها بسبب زيّهما ومظهرهما. نقلاً عن أنا، فإنه حسب ما إذا كانت ترتدي الحجاب أم لا، يقترب الأشخاص من حولها ويعاملوها بأسلوب مختلف. تعلق لنا بأن المعاملة تختلف، وأن الناس يتوجهون بأريحية أكثر إلى تلك اللواتي لا يرتدين الحجاب، ومن ناحية أخرى، إذا فعلوا ذلك، فإنهم ينظرون إليهن برؤية. وتعلق أنا بأن الحجاب سبب لها صعوبات كبيرة في إيجاد عمل. ولهذا السبب قررت أن تخلع حجابها وتلبس قبعة وتحلّ شعرها في صورة السيرة الذاتية. ومع ذلك، لم تجد وظيفة.

وحسب رأي شاهيد، أعلى شيء ليس العثور على وظيفة، وإنما مكان للعيش فيه. ويضيف أن هناك عمل، ويذكر أنه يوجد اليوم وظائف تستهدف المهاجرين:

شاهيد: لكونك أجنبياً فالأمر الأكثر تعقيداً، وقبل كل شيء، هو الشقة... في يومنا هذا. أنا أعمل، لم أخبرك بعد، لماذا أعمل، في النهاية هناك بعض الأعمال التي لا يمكن لغير الأجانب القيام بها. فلا أحد لديك من سيقوم بأعمال الحقل ما لم يكن أجنبياً. أنا محظوظ لأنني لم أتعرض للعمل في ذلك. عملت فيه لبضعة أيام عندما لم أكن أعرف اللغة، ولكن بمجرد ما قمت بتسوية وضعي القانوني، أخذت رخصة العمل وتعلمت اللغة الإسبانية بسرعة.

أنة رومانية. تقول إنها عندما سمعوا تتحدث وعرفوا بأنها رومانية، عاملها العديد من الأشخاص بتحيز عنصري. فبالمقارنة مع ماركو، المولود في إيطاليا، نرى أن وصمة العار الاجتماعية المرتبطة بالأصل تختلف تماماً من حالة لأخرى. باتسي وليكونا وكيان وماركو رجال بيض البشرة، وعلى الرغم من أنهم يؤكدون وجود العنصرية، إلا أنهم أخبرونا بأنهم لم يتعرّضوا لشيء من هذا القبيل. وعلى الرغم من حقيقة أن كونك أبيض البشرة، للوهلة الأولى، تتجنب العديد من المواقف العنصرية، إلا أن اللهجة عند التحدث أو معرفة أصل الشخص يمكن أن تنشّط هذه التحيزات والمواقف.

أروا: في المركز الصحي. بالمناسبة، حتى أنني وضعت لهم عريضة شكوى. يعاملونك من أنت ومن أين أنت. كما أخبرتك. أنا وأنت نذهب هناك. بيروني وبيرونك، يتوجهون إليك. يهتمون بك بطريقة أخرى، ويهتمون بي بطريقة مغايرة. هل تعلم،

بما أنك لست من هنا فأنا أتحدث معك، لا أدري... لقد شعرت بالرفض. تشعر وكأنك تافه هنا. أنا أعمل. الشيء الوحيد الذي أملكه هو أنني لست من هنا، لكنني أعمل مثلك، تماماً.

تُظهر الصعوبات التي واجهها العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم في الحصول على إيجار/كراء أو سكن بأنهم تعرّضوا للعنصرية الهيكلية. ويُعتبر نقص الأوراق أيضاً عائقاً مزدوجاً عندما يتعلق الأمر بالعثور على سكن. كذلك حصلنا على بعض الشهادات عن التمييز الذي تعرّضوا له في الإدارة العامة من خلال الخدمة والاستقبال الذي تلقوه.

مالو: يعمل زوجي في بيرجارا، وصديقه/صديقته من هنا، باسكي/ة. قال/قالت لزوجي: اطلب من زوجتك أن تبحث عن شقة هنا في الجوبيار. أحبته لا، من الأفضل أن يأتي هو/هي للبحث. حاولت الدخول ومن الباب، ودون أن أتكلم، قالوا لي هذا: "لا يوجد كراء، لا يوجد!" وأنا أحببتهم: "من فضلكم، دعوني أتكلم". لم أقل شيئاً ولا حتى السلام وقبل أن أدخل قالوا لي من الباب: "لا يوجد". قلت: "من فضلك، ليس لي". وكان جوابه: "لا يوجد". لكنهم لم يفعلوا ذلك معي فقط، على فكرة.

تصوير اللغات

الآن سوف نستعرض اللغات التي يعرفونها والطريقة التي يتواصل بها الأشخاص الذين قابلناهم. إجمالاً، أجرينا مقابلات مع 12 شخصاً، تعود أصولهم إلى ما يلي: أيرلندا وإيطاليا وألبانيا ورومانيا والمغرب ومالي ونيكاراغوا وجمهورية الدومينيكان والأرجنتين والصين وباكستان. بالإضافة إلى الباسكية والإسبانية، يتحدثون خمسَ عشرة لغة أخرى: الإنجليزية والألبانية والعربية والبربرية والماندريين والكانتونية والإيطالية والبامبارا والسنكية والولوف والأردية والبنجابية والرومانية والغيلية والفرنسية. لذلك، يمكننا أن نؤكد أن الخريطة اللغوية للجوبيار متنوعة للغاية.

ووفقاً للدراسة الكمية التي أجراها المجمع اللغوي الاجتماعي في الجوبيار، فإن اللغة الرسمية للبلدان الأصلية لنسبة 49.2% من السكان من أصل أجنبي هي الإسبانية. معظم الأشخاص الذين تمت مقابلتهم يتحدثون الإسبانية، على وجه التحديد، من أصل اثني عشر شخصاً، عشرة أشخاص. ويعاني شخصان آخران من صعوبات في الفهم. وفي حالة اللغة الباسكية، فإن ما يُلاحظ مختلف للغاية. على الرغم من أن الجميع يعرف كلمة أو كلمتين وشخصاً ما يفهم قليلاً، فمن بين هؤلاء الاثني عشر شخصاً، يمكن لشخص واحد فقط التعبير عن نفسه باللغة الباسكية.

بالإضافة إلى اللغات الرسمية للبلدان الأصلية، فقد تحققنا من وجود العديد من لغات الأقليات أو غير المهيمنة. وتشمل هذه البامبارا والسنكية والولوف والبربرية والكانتونية والبنجابية. يقارن العديد من الأشخاص اللغات غير المهيمنة باللغات المهيمنة. وعند التطرق لهذا الموضوع، مثل اللغة الباسكية والإسبانية، فإنهم يقارنون الكانتونية والماندريين والبربرية والعربية والبنجابية والأردية.

نود أن نسلط الضوء على ثلاث أفكار تم التعبير عنها حول المواطنة والناطقين والسياق اللغوي في الجوبيار. الأولى، الفصل بين البيئة الباسكية والإسبانية. ثانياً، لقد قيل لنا في كثير من الأحيان أن استخدام اللغة الباسكية في الجوبيار محدود. إلى جانب ذلك، فإن الفكرة الثالثة هي أنه في الجوبيار يمكنك العيش دون معرفة اللغة الباسكية، ولكن دون معرفة اللغة الإسبانية فلا يمكنك العيش.

حسب رأي ماركو، "في الجوبيار هناك مجموعتان، بيئتان: الناطقين باللغة الباسكية وغير الناطقين باللغة الباسكية، وهما لا يختلطان كثيراً. أنا دخلت في بيئة الناطقين باللغة الباسكية، ومنذ ذلك الحين، كان ذلك دافعاً لي (لتعلم اللغة الباسكية)".

ووفقاً لـ ليكونا، فإن حقيقة العيش في الجوبيار لم تضمن له بيئة الناطقين باللغة الباسكية.

ليكونا: لو عشت في أزيبينا أو في بلدة أخرى تتحدث اللغة الباسكية بشكل أكبر. فهنا، في الجوبيار، اللغة الباسكية لا يتحدث بها كثيراً. تمضي في الشارع، وتسمع كثيراً اللغة الأجنبية. لكن لو عشت في تلك البلدات، لكنت تعلمت اللغة مهما كانت أينما ذهبت. كان سيكلفني ذلك جهداً، لكن نعم.

على سبيل المثال، أخبرنا كيان وفاطيمة وأنة بأنهم بعد وقت قصير من وصولهم إلى الجوبيار تحدث الناس معهم دائماً باللغة الإسبانية. يعتقد الغالبية أن اللغة الإسبانية لا بد منها للتواصل بشكل عام، ويعتبرونها لغة ضرورية للتعرف (أورانغا وأبيردي 2021، 14).

ماركو: بدون معرفة اللغة الإسبانية، مستحيل، لا يمكنك العيش هنا. بدون التحدث باللغة الباسكية، نعم، هذا ممكن، لكن هناك شيء ينقصك دائماً. على سبيل المثال، هناك العديد من الأنشطة في اللغة الباسكية، وفي الشارع يتحدث أصدقائي مع بعضهم البعض باللغة الباسكية. هذا ممكن، لكنك دائماً ما تكون محدوداً بعض الشيء. وأعتقد أنه من المهم أيضاً معرفة اللغة هنا لفهم الثقافة.

لينغ: إذا كنت تعرف اللغة التي يفهمها الناس، فلن تكون لديك رغبة كبيرة أن تتعلم لغة أخرى. لحد الآن وأنا أعمل منذ عدة سنوات وكان السبب وراء اندفاعي لتعلم اللغة هو الحاجة. عندما أحتاج إلى شيء، ولا يهم ما هو، فأني سأتعلمه. سيكون من الأسهل بالنسبة لي تعلمه. وبالنسبة للآخرين، فلا أعرف أي دافع آخر يمكن أن يكون للتعلم.

بعد سؤال ماركو عما إذا كان يمكنه العيش في الجوبيار ولا يعرف سوى الإسبانية، ومعرفة اللغة الباسكية فقط لا يمكن، أجابنا على النحو التالي.

ماركو: أعتقد أن هناك أسباباً تاريخية وراء ذلك. هذه وجهة نظري. بالتأكيد، خلال ديكتاتورية فرانكو، تم حظر اللغة الباسكية، وقد بعض الناس اللغة الباسكية، وبعد ذلك، في تلك الفترة كانت هناك هجرة كبيرة جداً من إسبانيا. وبما أنك لا تستطيع التحدث باللغة الباسكية، فإن أولئك الذين قدموا من إسبانيا لا يستطيعون أو لا يحتاجون إليها.

بغض النظر عن معرفة اللغة الإسبانية أم لا، لم يكن العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، بعد وقت قصير من وصولهم (وحتى بعد ذلك)، على دراية بأن بلاد الباسك هي أمة أو إقليم تاريخي له ثقافته ولغته الخاصة. في المقابلات يتم تكرار دائماً: "هنا، في إسبانيا"، "عندما وصلت إلى إسبانيا"، أو عبارات مماثلة. وفي مناسبات عديدة، شعر أشخاص كثيرون بالحاجة إلى تعلم اللغة الإسبانية، لأنهم نصحوهم بذلك أو شعروا بأنهم موجودون في إسبانيا. وأشخاص آخرون

اعتقدوا أيضاً بأن اللغة الوحيدة في إسبانيا هي الإسبانية، وبعض الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ما كانوا يعلمون بأن اللغة الباسكية موجودة في الجوبيار وإقليم الباسك الذاتي (CAV).

شاهد: بالنسبة للإسبانية لم يكن عندي خيار آخر سوى التعلّم. لقد وصلت إلى بلد فيه لغة جديدة، ولكي أعيش توجب علي أن أتعلّمها مهما كانت.

أنا: حتى وصلت إلى هنا لم أكن أعلم أن التحدث هو باللغة الباسكية. كنت اعتقد أنه يتم التحدث بلغة واحدة فقط في إسبانيا.

بعد وقت قصير من وصولهما إلى الجوبيار، مالو وسيكو التقوا بالعديد من الأشخاص في الشارع ونصحوهما بتعلّم اللغة الإسبانية، وحدث نفس الشيء في المدرسة الدائمة للكبار (EPA).

مالو: عندما جئنا إلى هنا، كانوا يطلبون منا تعلّم اللغة الإسبانية، وليس اللغة الباسكية. كل شيء، في المدرسة، في الشارع، كل شيء. ولكن بعد ذلك، عندما تطلب وظيفة، فإنهم يعطونك اللغة الباسكية. عليك أن تعرف الأساسيات. هذا أيضاً، عندما يأتي الأشخاص من الخارج باللغة الجديدة، عليهم أن يقولوا إن هناك لغتين، فلا توجد لغة واحدة. وليس الإسبانية الإسبانية. لذلك فكل الجهد كان ينصب فقط على اللغة الإسبانية. لم أفكر في اللغة الباسكية حتى دخلت بناتي المدرسة. عندئذ أدركت بأنني مخطئة، هناك لغة أخرى.

وأخيراً، أخبرتنا فاطيما أنه على الرغم من أن العديد من الباسكيين يعرفون أنها لا تتحدث الباسكية ولا الإسبانية، كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة الباسكية، لكنهم يخاطبونها باللغة الإسبانية. وأخبرنا باتسي أيضاً شيئاً مشابهاً، بأن العديد من أصدقائه كانوا يتحدثون باللغة الباسكية، لكن: "[...] يظهر الأجنبي *guiri*، ويتحدث الجميع بالإسبانية". يعرف بعض الأشخاص الذين تمت مقابلتهم لغات غير مهيمنة ويتحدثونها. كما هو الحال مع اللغة الباسكية، فإنهم يبدون قلقاً بشأن اختفائها. على حد تعبير شاهد، يكمن مفتاح تجنب الاختفاء في عملية النقل.

شاهد: تعليم أبنائنا. عندما يصبحون آباء، فإنهم يعلمون أبنائهم، دعنا نقول، إذا كانت الدولة أو شخص ما لا يهتم بك، حسناً عليك أنت أن تهتم بنفسك. تشعر أنك شيء، خاصتك. تعليم أولادك وقول هذا، أينما ذهبت، عليك أن تحمله معك. في النهاية أعتقد أن هذه هي الطريقة.

استخدام اللغات

لقد لاحظنا أن جميع الأشخاص الذين تمت مقابلتهم يتحدثون أكثر من لغة واحدة. في كل مكان، وحسب السياق، نستخدم لغة أو أخرى، أحياناً بشكل لا إرادي، وأحياناً أخرى بقرارنا الخاص. في كثير من الحالات، تضطرنا حقيقة الذهاب للعيش في مكان جديد على تعلّم لغات جديدة. ويحتفظ معظمهم بلغاتهم الأصلية، ويستخدمون استراتيجيات مماثلة للحفاظ عليها. لقد تمكنا من رؤية أن المنزل وجالية البلد الأصلي يعملان كمستودعات للغة. وفيما يتعلق بالفضاء العام والخاص، لاحظنا أن اللغة الإسبانية، باعتبارها لغة مهيمنة، يمكن بسهولة أن تفرض نفسها في الشارع وفي العمل. ندرك أيضاً أن

عملية النقل هي استراتيجية الحفاظ على اللغة الأصل. في جميع الحالات، قاموا بتعليم أبنائهم لغتهم الخاصة، وفي معظم الحالات، تم تعليمهم أيضاً اللغة الرسمية الأصلية أو المهيمنة.

وعلى الرغم من أنهم غير قادرين على التواصل باللغة الباسكية بشكل يومي، فإن لينغ وليكونا وأنا وسيكو وشاهيد يعرفون بعض الكلمات الأساسية، وبعضهم يستخدمها في حياتهم اليومية. وخصوصاً يستخدمون تحيات السلام: "kaixo, agur, egun on, arratsalde on, gabon, zer moduz?" بالإضافة إلى ذلك، يعرفون أيضاً بعض الكلمات المفردة: ez horregatik و eskerrik asko و ondo pasa و poliki-poliki و kontuz إلخ. ومع ذلك، فإن وجود اللغة الباسكية هو عملياً شيء نادر لدى معظم الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، ولكن من وجهة نظر رمزية، نعتبر أنه قد يكون من المثير للاهتمام دراسة سبب قرار استخدام تحيات السلام أو بعض الكلمات الأساسية في اللغة الباسكية. فيما يتعلق باكتساب اللغة، يتم اكتساب لغة البلد الأصلي من خلال الأسرة. وبعد ذلك، معظمهم تعلم اللغات الرسمية في المدرسة: شاهيد الأردية، وسيكو الفرنسية، ولينغ الصينية الماندرين. بدأ الأشخاص الذين تمت مقابلتهم والذين لا يعرفون اللغة الإسبانية في تعلمها كنتيجة لعمليات الهجرة، ومعظمهم كانوا يبذلون جهداً للبقاء على قيد الحياة والحصول على عمل. أنا وسيكو وفاطيمة وشاهيد تلقوا دورة تدريبية في وقت ما. ومع ذلك، أخبرتنا أنه وباتسي وكيان وماركو وسيكو وشاهيد ولينغ أنهم تعلموا أيضاً في الشارع أو في العمل.

باتسي: لقد تعلمت الإسبانية هناك، لغة الشارع. لم أذهب إلى المدرسة ولا أي شيء. التحدث مع الناس، وإقامة علاقات. لم أحضر أي دورة ولا أي مدرسة ولا أي شيء.

لينغ: نحن لا نجد الإسبانية، نحن نعلم ذلك. ولا يمكن مقارنة مع الناس هنا. لقد تعلمنا اللغة في الشارع.

أما بالنسبة إلى اللغة الباسكية، فإن ليكونا وأنجي وماركو تلقوا دروساً، ولكن أيضاً في هذه الحالة، تعلم معظمهم - أروا وكيان وماركو وشاهيد ولينغ - في العمل وفي الشارع. أخبرنا معظمهم أنهم قادرون على فهم وتفسير الكلمات والعبارات المفردة، ولكن من بينهم جميعاً، ماركو هو الوحيد القادر على التحدث والتواصل باللغة الباسكية.

لينغ: "Kaixo!" مرحباً، وأنت تقول أيضاً kaixo. ذلك هو. يخاطبك الناس بأشياء بسيطة، وأنا أفهمها أيضاً. ربما يتحدثون اللغة الباسكية، لكنني، على الرغم من أنني لا أعرف اللغة، كنت أعرف ما أرادوا قوله.

كما لاحظنا في المقابلات، تعلم معظمهم اللغات من خلال الاستماع والممارسة في العمل أو في الشارع. عند العمل على الاستيعاب الشفهي، في أكثر الأحيان، ساعدتهم الإذاعة والتلفزيون، وكذلك المجالات والصحف والكتب. إنهم قلّة من تلقوا دورات مكثفة، وقد كرّس معظمهم القليل من الوقت لتعلم اللغات. وفي هذه الحالة، لفت انتباهنا أنه من بين ثلاثة أشخاص درسوا اللغة الباسكية، يمكن لشخص واحد فقط التواصل بهذه اللغة. لا يحدث الشيء نفسه مع اللغة الإسبانية. في العديد من الحالات، أولئك الذين التحقوا بالمدرسة أو التحقوا بدورة تدريبية يكونوا قادرين على التواصل بهذه اللغة.

التجارب اللغوية

عندما يتعلق الأمر بتعلم لغات جديدة، فإن الأشخاص الذين هم أبطال هذه الدراسة واجهوا عقبات ومزايا ذات طبيعة متنوعة للغاية. في إقليم الباسك الذاتي، تعتبر اللغة الباسكية والإسبانية هي اللغات الرسمية. وبهذه الطريقة، تعد معرفة إحدى اللغتين ميزة كبيرة لتكون قادراً على التواصل. اللغة الأصلية بالنسبة لـ أروا وأنجي وليكونا هي الإسبانية، لذلك لم يشعروا بالحاجة الصريحة لتعلم اللغة بأكملها. بحلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى الجوبيار، كانت لينغ وشاهيد وسيكو وأنا وباتسي يعرفون الإسبانية. حيث توجب عليهم تعلمها بعد مغادرة بلدانهم الأصلية. أما فاطيما وكيان وماركو فقد تعلموا الإسبانية بعد وصولهم إلى بلاد الباسك.

وأعرب أولئك الذين يتحدثون لغات مشتقة من اللاتينية بأنهم تعلموا الإسبانية بسهولة. بالمقابل، ليس هذا هو الحال بالنسبة لشاهيد أو لينغ، حيث بذل كلاهما جهداً كبيراً لتعلمها.

لينغ: بذلت جهداً كبيراً. في البداية، يقول الجميع بأن اللغة الإسبانية سهلة. اللغة ليست سهلة أبداً.

تلقي كل من ليكونا وإنجي وفاطيما وأنا دورات قصيرة لتعلم اللغة الباسكية. وعلى الرغم من الدورات التعليمية، أخبرونا أنهم يفتقرون إلى فضاءات لممارسة اللغة، علاوة على ذلك، فإن حضور اللغة الباسكية منخفض في الشارع.

ليكونا: أنت لا تتعلم اللغة الباسكية في الشارع. لهذا كنت أخبرك. لو كنت أعيش في أزكويتيا أو أزبيتيا وماركينا، لكانت أتعلم كل يوم.

في كثير من الأحيان، يشكل ضيق الوقت أو الموارد المالية صعوبة في تعلم اللغة الباسكية. لينغ وليكونا وشاهيد وأنة وباتسي وأروا علقوا على ضيق الوقت.

شاهيد: أحياناً، هناك أشخاص يتحدثون، وهذا يدفعني بداعي الفضول أيضاً. دعونا نرى عما يتحدثون. أتحمس، وأفكر: "سأذهب لأتعلم". لكن في النهاية مع العمل هذا لا يمنحني الوقت.

أروا: أعرف، أفهم أنه ربما كان علي أن... هل تتعلميها؟ لماذا لا تدرسيها؟ ساعدي نفسك مثلاً في الذهاب إلى مدرسة، حسناً. لكن في بعض الأحيان، كم تكلفنا الدورة في مدرسة اللغة الباسكية؟ أعتقد أنه في حدود أربع مئة أو مئتين كحد أقصى، لا أعرف. لا أستطيع تحمل ذلك. ليس لدي هذا المال، وليس لدي الوقت. طالما يمكنني الاستمرار في العمل، هكذا بدون تلك اللغة والتعلم من الآخرين، فلا يمكنني تحمل تكاليفها، لأنني لا أملك المال. تكلفة مدرسة اللغة الباسكية باهظة الثمن. بالنسبة إلينا نحن الذين لدينا التزامات، ونأتي من هناك، لا يمكننا تحملها.

الكسل المذكور أيضاً من بين أسباب عدم تعلم اللغة الباسكية.

كيان: أنا نادم قليلاً لو كنت تعلمت من قبل. الآن بعد أن أصبحت كسولاً، لن أتعلم. أعرف أنني لن أتعلم.

لينغ: ما يحدث هو أنني كسولة بعض الشيء، ولم أتعلّم المزيد.

يمكن أن تكون الأيديولوجيات اللغوية أيضاً عقبة أمام تعلّم اللغة الباسكية. يعتقد العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم بأنها لغة صعبة، وأنها ليست مهمة جداً أو صالحة، وأنهم لن يكونوا قادرين على تعلّمها. بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر نقص المعلومات عقبة رئيسية، على سبيل المثال، الجهل بالخدمات التي تقدمها البلدية أو استحالة التكيف مع العرض الموجود.

كان هناك من لديهم تجارب سلبية لعدم معرفة اللغة الباسكية. ويمكن أن يصبح ذلك أيضاً عقبة أو فقدان الحافز عند تعلّمها. المواقف التي أخبرونا بها حدثت في بيئة العمل.

كيان: هناك أشياء تزعجني كثيراً. كنت في الحانة، ودخلت جماعة، وكلهم يتحدثون الإسبانية. وبعد ذلك، "Zu!"

"Euskeraz bai, eh!" ثم تحدثوا معي باللغة الباسكية. أنا لا أستطيع فعل تلك الأشياء! إذا كنتم جميعاً تتحدثون باللغة

الإسبانية فقولوا "Kaña bat!"

فيما يتعلق بالدوافع لتعلّم اللغة، اعترف معظمهم بأنهم تعلّموا اللغة الإسبانية لأنهم شعروا بأنهم بحاجة إليها للعمل والبقاء على قيد الحياة. قبل كل شيء، سألنا الأشخاص الذين تمت مقابلتهم عن دوافعهم لتعلّم اللغة الباسكية. من بين هذه الأسباب، تتكرر الأفكار التالية باستمرار: التواصل الاجتماعي، لفهم الأشخاص من حولهم، للمعرفة، أو للعثور على عمل أو لمساعدة القاصرين الذين تحت رعايتهم.

أنا: أريد بالفعل أن أتعلّم، وأرغب بمعرفة المزيد، وأن أتحدث مع الناس وأكثر إذا كنت ترغب في العمل في دار إقامة. لقد قبلوا سيرتي الذاتية في دار الإقامة في إيبار، لكن بما أنني لا أتحدث اللغة الباسكية، فمن الصعب العمل. لمساعدة أبنائي في المنزل. بما أن لديهم واجبات منزلية، فن تفهم في اللغة الباسكية ما لديهم هناك. تبقى تنظر ولا شيء آخر.

ماركو هو الوحيد الذي يتحدث اللغة الباسكية، ويقول إن دافعه في حالته هو الأسرة. ويقول باتسي وسيكو إنهما سيدرسان اللغة الباسكية، لكن أحدهما لا يملك الوقت وهذه ليست أولوية بالنسبة له؛ ومع ذلك، يعلّق الآخر لنا بأنه من الصعب التعلّم. بالإضافة إلى كل هذه الآراء، نأخذ بالاعتبار ما تذكره لينغ عن التحفيز أمر معنوي، أي أن معرفة لغة يفهمها الناس في محيطك يمكن أن تجعلك تفقد الدافع لتعلّم لغة أخرى. أخيراً، قام ماركو بالتفكير التالي حول الدافع.

ماركو: لا بد من التحدّث في الشارع أكثر فأكثر باللغة الباسكية، ويتم إجراء المزيد والمزيد من الأنشطة باللغة الباسكية. وهذا دافع عظيم. لأنه، بخلاف ذلك، لا يفهم الناس، وعندئذ يضطروا للتعلّم. لا يوجد دافع آخر.

الاستماع مهم جداً للناطقين، والأيدولوجيات اللغوية والتحيزات والتصورات الشخصية وعلاقات القوة بين اللغات تؤثر على المستمعين. تكيف الخطابات المتعلقة بالعرق والجنس الطريقة التي نستمع بها إلى الشخص الذي نلتقي به، أي "نفكر في اللغة كما نفكر في الناطقين بها وجماعتها اللغوية، فضلاً عن مجتمعها" (أغيري وإسكيسايل 2019، 38). لقد سألنا الأشخاص الذين تمت مقابلتهم عما إذا كانوا قد عوملوا بشكل مختلف، لأنهم من أصل مختلف. لقد جمعنا شهادات توضح أن ما يميز العرق ليس لون البشرة فحسب، بل اللغة أيضاً.

أنة رومانية، بيضاء البشرة. في مناسبات عديدة، شعرت بتغيير في الموقف تجاهها بمجرد أن سمعها تتحدث. عندما سألناها عما إذا كانوا لم يقدروها أو انتقصوها أو لم يستمعوا إليها كبقية الناس بسبب طريقتها في الكلام، وكانت الإجابة بنعم.

أنة: في بعض الأحيان، بعد الاستماع إلي والتعرف على لغتي، يديرون ظهرهم لي. أو، في إحدى المرات، أغلقوا الباب في وجهي في إحدى محطات الوقود. لم تقل له شيئاً ولم تنظر إليه، لكن هناك من يريد استفزازك...

أخبرتني أنا أيضاً أنهم عندما سمعوا تتحدث باللغة العربية، في أحيان عديدة، لم يعيروها انتباهاً. من ناحية أخرى، تعلق أروا بأنها عندما تتصل على الهاتف ويدركوا لهجتها، فإنهم كثيراً ما يعاملونها بلا مساواة.

القيم المخصصة للغات

علّنا على أن اللغة هي مستودع الهوية اللغوية (باتكيث 2020). وهي بلا شك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة والتعلق بالهوية. ويربط العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم لغتهم الأصلية بجذورهم وبلدهم.

باتسي: يجب عدم نسيان اللغة الأم. في النهاية أينما كنت... لغتي هي أهم شيء عندي. لأنني بها نشأت، بلغتي، لا أعرف... موطني هو موطني، بغض النظر عن مشاكله، لكن، حسناً، ليس ذنب الناس، إنه ذنب السياسة في النهاية. الناس طيبون جداً، لكن السياسة سيئة كما في كل أنحاء العالم.

شاهيد: البنجاب هي موطني، أصلي. من أين أنتمي، من أين أتيت، كما تعلمون.

غالباً ما تشكل الثقافة والهوية واللغة نوعاً من المثلث المرتبط مباشرة بالسياسة. هناك من انتقد هذا المثلث ومدى تأثير السياسة عليه.

كيان: أشعر بشيء بسبب... أنا غريب جداً. يوجد أشخاص هنا وفي أيرلندا أيضاً، لا، لديهم هذا: الثقافة واللغات. لقد أدركت مؤخراً أنني ما زلت لا أحب بعض الأشياء كثيراً. قالوا لي إنها كانت تعجبي. هناك بعض الأشياء من أيرلندا. قد يكون أو لا يكون من السياسة. عندما تكون شاباً تحاول أن تنغمس بطريقة ما مع فئة من الناس، لتعلم ما يسمى الثقافة.

في المقابلات التي أجريناها، كان لبعض الأشخاص صلة أوثق بعائلة باسكية أو من أصول باسكية. وكانت عائلة ليكونا من أصل باسكي. كذلك يخبرنا أنه يشعر من هنا وأن لديه ارتباطاً خاصاً بالثقافة. من بين أمور أخرى، يعزو انخفاض استخدام اللغة الباسكية إلى قلة عملية النقل. يخبرنا ماركو أيضاً أن لديه علاقة خاصة بالثقافة الباسكية.

ماركو: أشعر أن اللغة الباسكية أقرب من الإنجليزية. لا أعرف لماذا. أعتقد أن ذلك يعتمد على الثقافة. لم أحلها ولم أدرسها، لكنها كذلك. لدي مشاعر إيجابية تجاه اللغة الإسبانية، لأن الثقافة الإيطالية والإسبانية قريبتان جداً. والثقافة هنا، ثقافة بلاد الباسك، ما زالت أقرب إليّ. لأنني أعتبر أن ثقافة شمال إيطاليا تشبه إلى حد بعيد تلك الموجودة هنا.

يميل أولئك الذين يتحدثون لغة أقلية أو لغة غير مهيمنة في بلدانهم إلى مقارنتها باللغة الباسكية. عندما يتعلق الأمر بتقييم اللغات، فقد لاحظنا أن الأيديولوجية اللغوية تؤثر بشكل كبير على الحجج التي يستخدمونها. تُمنح بعض اللغات قيمة أكثر أو أقل من غيرها، وإلى جانب ذلك، يمكننا أن نفهم الاختيار الذي اتخذته الأشخاص الذين تمت مقابلتهم لتعلم واستخدام لغة معينة. تم وصف اللغة الإسبانية، بطريقة مشابهة للغة الإنجليزية، على أنها لغة عالمية وذات صلة من قبل العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم. وعلى الرغم من أنه أمر غريب، فمن بين أولئك الذين يعرفون التحدث بالإنجليزية، ماركو هو الوحيد الذي أخبرنا أنه يستخدمها. وفيما يتعلق باللغة الباسكية، تعلق إنجي وكيان ولينغ وباتسي بأنها لغة يمكن استخدامها، ولكن فقط في بلاد الباسك. في بعض المقابلات، تم التعليق على أن كل لغة هي مهمة هناك حيث يتم التحدث بها. لكن، في مناسبات أخرى، يُقال إن اللغات المهيمنة أو العالمية أكثر أهمية من اللغات الصغيرة، ويتم التعليق أنه باتباع هذا المسار، قد تختفي اللغة الباسكية.

باتسي: اللغات الشائعة أكثر أهمية من تلك غير الشائعة، لا أعرف ماذا أسميها، عندما كنت صغيراً. ليس لدي أي شيء ضد اللغات الجزئية أو الصغيرة، غير المعروفة في العالم خارج المكان الذي تعيش فيه، لكن الشيء الأساسي هو تعلم ما يتم التحدث به أكثر. خلال مائة عام لا نعرف ما اللغة التي سنتحدث بها. ربما لغة جديدة، ممكن. هناك أشياء تتطور، وهناك أشياء سوف تضيع.

فاطيمة: أنا أحب تعلم اللغة الإنجليزية. إنها سهلة؟ أليس كذلك؟ والإسبانية؟ اللغة الباسكية أكثر تعقيداً. من الأفضل تعلم الإسبانية، أما تعلم اللغة الباسكية صعب. والكلمات لا أحفظها.

من ناحية أخرى، حسب رأي أنجي ولينغ وأنة، لا يمكن إجراء أي تصنيف بين اللغات. كلها مهمة، ويجب إعطاؤها القيمة التي تستحقها.

الأيديولوجيات اللغوية

مع الأخذ بعين الاعتبار الأيديولوجيات اللغوية، من بين الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، قمنا بجمع الكلمات والعبارات التي يتم التعبير عنها لاستعراض معتقداتهم ومشاعرهم تجاه اللغات. وعند إجراء الدراسة، لفتت الرؤية ثنائية التفرع انتباهنا. يميز الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، في جميع الأوقات، بين اللغات الصعبة والسهلة والعصرية والتقليدية والوظيفية وغير الوظيفية... وقد ظهرت مراراً وتكراراً الفكرة المتكررة التي تؤكد أن اللغة الباسكية صعبة:

ليكونا: اللغة الإنجليزية كم كانت صعبة، وسوف أتعلم اللغة الباسكية. [...] اللغة الباسكية لا يمكن. دعونا نرى، عبارة ما، ومدرسة للغاية. يمكنني إجراء حوار، لكن يجب أن أمارس، فأنا لا أمارسها.

باتسي: إنها لغة صعبة، وهي واحدة من أقدم اللغات في أوروبا أو في العالم. واحدة من أقدمها، وبالنسبة لي قول الكلمات صعب قليلاً.

كما أنها تتعلق بالصعوبة بنوع آخر من الخصائص. يقول باتسي إنها واحدة من أقدم اللغات في أوروبا والعالم، ويصفها ماركو كما لو كانت كنزاً، "لأنها عتيقة جداً، قديمة، ومميزة جداً". تتطابق هذه الكلمات مع التعريف البربري أو العتيق أو القديم للغة الباسكية الذي وصفه أزورميندي (1992، 30)، ويذكرنا بالتبعية المتجسدة في اللغة الباسكية، التي ذكرها أغيري وإسكيسابيل (2019، 24).

لقد علّق لنا بعض الأشخاص بأن اللغة الباسكية صعبة والإسبانية سهلة. وأخبرنا آخرون، على سبيل المثال، لينغ، عن الجهد المبذول في تعلم لغة جديدة.

لينغ: لا أشعر بأنني مميزة. الجميع يقول: اللغة الباسكية كم هي صعبة! لكن اللغة الباسكية ليست اللغة الوحيدة التي يصعب تعلمها، ولكن إذا لم تكن هناك لغة أخرى، فسيتعين علينا تعلم اللغة الباسكية. في الأخير، كل اللغات معقدة بالنسبة لي وللجميع. يقول الكثير من الناس أن اللغة الإسبانية أسهل، لكنني لا أعتقد أنه من السهل تعلمها.

الفكرة المتكررة هي أن تعلم اللغات أسهل في الطفولة، وأن تعلمها في مرحلة البلوغ يكون أكثر صعوبة:

أنجي: ما يحدث هو أنه عندما تكون صغيراً، يكون الأمر مختلفاً أكثر عن انفتاح عقلك، لكن بعد ذلك فلا. حسب تقدم العمر تدريجياً، سيغلق العقل تدريجياً. ليس الأمر نفسه عندما تكون صغيراً حيث يسجل لك كل شيء.

المقترحات والتحديات

في هذا القسم الأخير من التحليل، سنقيم علاقة مع المقترحات التي قدمها الأشخاص الذين تمت مقابلتهم وبعض التحديات التي حددناها.

- ← تعزيز عادات وثقافة الأشخاص من أصول مختلفة، فضلاً عن احترام ثقافتهم ولغاتهم في المجتمعات التي يكون فيها للعنصرية والتحيز ثقلاً كبيراً.
- ← خلق شخصية للوساطة الثقافية من أجل توفير الاهتمام اللازم في الخدمات العامة.
- ← الاستفادة من التطورات في التقنيات الجديدة، على سبيل المثال، الترجمة. وجعل هذه الموارد متاحة لجميع المواطنين.
- ← تقديم ساعات مجانية ومرنة، وعدد أكبر من المقاعد، ودورات عبر الإنترنت لتعلم اللغة الباسكية.
- ← ضمان وجود اللغة الباسكية في الدورات. وإمكانية الخلط بين اللغة الباسكية والإسبانية.
- ← تسهيل المساحات ونقاط الالتقاء لممارسة اللغة الباسكية.
- ← تعزيز العرض الثقافي باللغة الباسكية.

الاستنتاجات وآفاق المستقبل

كما لاحظنا، فإن التجارب اللغوية والتصورات لدى الأشخاص من ذوي الأصول المختلفة تجاه اللغة الباسكية متنوعة، ولكن هناك بعض المتغيرات التي تؤثر عليهم بشكل مباشر، من بين أمور أخرى، الجنس أو الطبقة أو الأصل أو العرق. ولإنهاء الدراسة، مع الأخذ بعين الاعتبار الخبرات والتجارب التي تم جمعها فيها، سنقوم بتفصيل سلسلة من النصائح والتوصيات التي يمكن استخدامها من الآن فصاعداً:

- الحاجة إلى فضاء مرجعي، حيث يتم تقديم الاهتمام والمرافقة للمواطنين من أصول مختلفة. إلى جانب ذلك، من المهم معرفة احتياجاتهم ووضعهم ومرافقتهم وإتاحة الموارد الموجودة في البلدية لهم. بالإضافة إلى ذلك، لكي يكون الاستقبال شاملاً، من بين أمور أخرى، سيكون من المناسب التعريف بلغة وثقافة وتاريخ بلدنا.
- التفكير في طرق جديدة للإعلان عن الخدمات البلدية المتعلقة باللغة.
- العمل على التحيزات التي تحرك علاقات القوة بين اللغات والأيدولوجية اللغوية. وضرورة تعزيز التفكير الجماعي. وضرورة التأكيد على أهمية جميع اللغات.
- جمع والتعرف على الطرق المختلفة التي يفهم فيها المواطنون من ذوي الأصول المختلفة أوقات الفراغ. وخلق فضاءات مشتركة للمعرفة المتبادلة للجاليات التي تعيش في الجوبيار ولتنمية التعددية الثقافية من رؤية بناءة. كذلك يجب أن تكون البلدية هي من يسهل هذه الفضاءات.
- تعزيز التجارب الإيجابية تجاه اللغة الباسكية.
- ضرورة مراعاة الدوافع التي تدفع المواطنين من ذوي الأصول المختلفة لتعلم اللغة الباسكية، وفي نفس الوقت تعزيز تعلمهم.
- تحريك خطط شاملة للترويج للغة الباسكية في الشارع وفي العمل وفي البلدة بشكل عام، وتطوير المشاريع التي تجمع بين التوظيف وتعلم اللغة الباسكية، وتنظيم دورات خاصة للنساء العاملات في القطاع المنزلي، من حيث مراجعة ساعات الدروس وإمكانية جعلها مجانية. كذلك خلق فضاءات غير رسمية لممارسة اللغة الباسكية.
- ضرورة تعزيز الموارد المتعلقة باللغة: مجانية التعلم والمرونة في جدول ساعات الدورات، وزيادة المقاعد والدورات.
- تنفيذ سياسات لغوية من منظور ديكلونيالي، من أجل تطوير مقترحات شعبية، وعلى سبيل المثال، حماية وتقدير الثقافات واللغات الأخرى. وضرورة تعزيز التعددية الثقافية وتشجيع المواقف المناهضة للعنصرية. وضرورة إبراز أهمية اللغات والثقافات المختلفة الموجودة في الجوبيار ومواجهة رسائل الكراهية.
- الأخذ بعين الاعتبار الوضع ثنائي اللغة للغة الباسكية وضرورة تمكين الناطقين بها ومواطني الجوبيار بشكل عام. وضرورة تقدير اللغة الباسكية.

المراجع

أغيري، لوريا وإسكيسابيل، إدوري. 2019. *Trikua esnatu da*. Susa.

أزورميندي، جوتشي. 1992. *Espainolak eta Euskaldunak*. Elkar.

ساغاستيزابال، مارينا. 2020. *Hiruki gatazkatsua*. Susa.

باتكيث، بيوليتا. 2020. عد اللغات. حوارات أخرى [منشور إلكتروني]. 10. هيمين إسكوراغاري:
<http://bit.ly/3WPBFw> (تمت المراجعة يوم 2022-07-10)

أورانغا، بيلين وأبيردى، تشابيير. 2021. *Jatorri atzeritarreko biztanleen hizkuntzak, hizkuntza-bizipenak eta jarrerak Gipuzkoan*. *BAT Soziolinguistika aldizkaria*, 119, 59-84

أورانغا، بيلين. 13 ديسمبر/كانون الأول 2022. *Elgoibarko hizkuntza-aniztasunaren mapa*. Datuen azterketa. *Immigrazioko biztanleriaren jatorriaren arabeko hurbilketa*. [مقدمة الدراسة] Soziolinguistika klusterra

أورانغا، بيلين. 2022. *Elgoibarko hizkuntza-aniztasunaren mapa*. Datuen azterketa. *Immigrazioko biztanleriaren jatorriaren arabeko hurbilketa*. *BAT Soziolinguistika klusterra*.